

الثقافة في الجزائر وسؤال النهضة .

Culture in Algeria And Renaissance Question

سفيان جويده*، مخبر الدراسات الفلسفية وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر، جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)،

djoweyda.sofiane@univ-tiaret.dz

بوعمود أحمد، مخبر وحدة البحث علوم الإنسان للدراسات الفلسفية، الاجتماعية و الإنسانية وهران، جامعة ابن خلدون تيارت

(الجزائر)، ahmed.bouamoud@univ-tiaret.dz

تاريخ النشر: 2025/06/ 30

تاريخ القبول: 2025/05/ 15

تاريخ الاستلام: 2025/03/ 31

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة دور النخبة الفكرية الجزائرية، في تشييد مرتكزات الفكر الثقافي الجزائري، وتخليصه من شوائب المسخ، والاستلاب الفكري المنهج، بدءاً بمرحلة الاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830م، وصولاً إلى مرحلة العولمة، والتغريب التكنو هوياتي، في العصر الراهن، وتتخذ هذه الدراسة من النخب أمثال: "عبد الحميد بن باديس"، "مالك بن نبي"، "محمد أركون"، "عبد الله شريط"... نماذج حقيقية لفلسفة الفعل في الحقل الفكري الثقافي إذ تسعى في جوهرها إلى تصميم مشاريع نقية تروم إلى خلق فضاء فعالية تحرر العقل الجزائري من الاستلاب والتبعية، فهل تمكنت حقيقة هذه النخبة من تلمس مواطن المرض في الحقل الثقافي؟ وماهي جملة التغييرات التي طرأت على الفكر الجزائري بعد مناقشة هذه المشاريع والاشتغال عليها؟، ثم كيف ستعمل مجدداً على حماية خصوصياتها الثقافية في ظل التطور العلمي والعولمة؟ وهل الدفاع كآلية للحماية من التغريب الثقافي كاف لوحده؟.

الكلمات المفتاحية: الثقافة؛ الجزائر؛ مشاريع النهضة؛ رجال الفكر؛ التحديات .

Abstract:

This study seeks to address the role of Algerian intellectual elite in constructing the foundation of Algerian cultural thought, liberating it from the distortions of systematic intellectual subjugation and ideological alienation, beginning with the era of French colonialism in 1830, and extending to the current epoch of globalization and techno-identity westernization.

The study adopts figures such as Abd al-Hamid Ben Badis, Malek Bennabi, Mohammed Arkoun, Abdullah Shariet, and others as paradigmatic models of the philosophy of praxis within the cultural-intellectual sphere. At its core,

the study endeavors to conceptualize pure intellectual projects aimed at fostering an authentic renaissance that emancipates the Algerian mind from subjugation and dependency.

The central questions it raises are: Have these elites truly succeeded in diagnosing the root causes of the malaise within the cultural sphere? What comprehensive transformations has Algerian thought undergone following the critical engagement with and implementation of these projects? Furthermore, how might they reassert mechanisms to safeguard cultural specificities amidst scientific advancement and globalization? And is the defensive stance—as a strategy to counter cultural Westernization sufficient on its own?

Keywords: culture; Algeria; Renaissance projects; the intellectuals; the Challenges .

* المؤلف المرسل: سفيان جويده

1- مقدمة

تعتبر الثقافة بوصفها كيانا دياكتيكيا يتجاوز الثنائية المادية والروحية، جوهرًا أنطولوجيا يعمل على بناء الوعي الجمعي وصياغة التميز الحضاري، وهي بمثابة حراك جدي يتشكل في فضاءات الفن والعلم ويتعداهما إلى تشكيل مشروع هوياتي تترتب فيه الأنساق الفكرية معًا، مما يخلق نظامًا دلاليًا خاصًا بكل أمة، وفي هذا السياق التأويلي، تتجلى الجزائر كحالة ثقافية مركبة، نشأت من تدافع التراكيب الحضارية الأمازيغية العربية الإسلامية، وتفاعل الأنساق العلمية، والدينية واللغوية، منتجة نموذجًا ثقافيًا يتوازى فيه الثابت الديني مع التحول الثقافي، فتشكل حقلاً هوياتيًا لا يختزل إلى أحادية، إلا أن هذا البنيان قد تعرض لقصدية تفكيكية خلال الحقبة الكولونيالية الفرنسية (1830-1962م)، حيث تحولت الثقافة إلى ساحة صراع إبستمولوجي، بهدف إحلال الباراديغم الكولونيالي محل المنظومة التعليمية الإسلامية، ما أدى إلى إنتاج شقاق ثقافي ثنائي عربي فرنسي يعطل الاتصال بالجذور التاريخية، ورغم ذلك، حافظت الجزائر على استمرارية ثقافية تجسدت في مشاريع تأصيلية كجمعية العلماء المسلمين تستعمل فيها المساجد كفضاءات تعليمية مقاومة، وفي مشاريع فكرية لدى: "مالك بن نبي"، "عبد الله شريط"، "محمد أركون" تبني مشاريعًا ثقافية تتخذ من النقد الجذري للتراث آلية للتحديث الواعي.

و يفرض هذا البحث مجموعة من الاشكالات التي تبحث على وجه الخصوص في الدور الفعلي الذي لعبته النخب مع الإرث الاستعماري الثقافي : فهل يمكن لثقافة تعرضت للتشويه الاستيمولوجي أن تبني حراكا علميا و فكريا مستقلا بعد قرن من التغريب؟ هل حققت النخبة كفايتها من إعادة صيانة الموروث الثقافي خاصة في ظل تحديات العولمة و الصراع الهوياتي، وكيف يمكن تقييمها ؟ ثم إلى أي مدى ستصمد هذه المشاريع في ظل التغريب التكنو هوياتي الحالي.

تروم الفرضية إلى إعادة تأويل التراث الثقافي بنقده وتحديثه، وهي وحدها القادرة على ردم الفجوات الروحية الثقافية، بشرط أن تتخذ من التفكير الفلسفي منهجا للموازنة بين الثلاثية: الانتماء الإسلامي، الخصوصية الوطنية، والانفتاح العصري.

كما أنني اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التحليلي النقدي لكشف براديجمات التشويه الكولونيالي، وتقويم فعالية المشاريع التأصيلية في إنتاج ثقافة جزائرية لا تنفصل عن جذورها، ولا تغيب عن تحديات الحاضر.

أما الأهداف فتركز على تفكيك باراديجمات التشويه الكولونيالي، واستكشاف إمكانات بناء باراديجم ثقافي جديد يجمع بين نقد التراث كمصدر للهوية وتحديثه كمشروع للمستقبل، مع تبيين الابداعات الفكرية كحلقات في سلسلة تاريخية تسعى إلى تجاوز الثنائيات التقليدية و الحدائي باسم انتاج عقلانية ثقافية تتجاوز الانشقاق الى التكامل.

2- واقع الثقافة في الجزائر أثناء و بعد الاستعمار:

1.2 واقع الثقافة الجزائرية أثناء فترة الاستعمار:

لقد قام الاستعمار الفرنسي في الجزائر، بمختلف أساليب التعذيب والقمع، من قتل، وتدمير، وتجهيل واستلاب، حتى صار يترأى للجزائري بعد هذا، أنه قد تم التفضل عليه بساعة أمان، ورغيف خبز، وأن يد المستعمر ما جاءت إلا لتجود عليه بالحضارة، ثم إنه لا يتوقف عن بطشه حتى تتوارث الأجيال ثقافته هو، وعلمه هو، وروحه هو، ذلك لأنه يعي جيدا أن أعمق احتلال لا يكون برمى الرصاص على الأحياء، وإنما برمى الجهل على العقلاء، ولتتولد تباعا لهذه السياسة : ثقافات جديدة، تتماشى وإملاءات المستدمر حرفيا، وهذا تحديدا ما تعرضت له الجزائر بعد احتلالها، من طرف فرنسا، التي سعت إلى إجبار المواطن الجزائري أن يتخلى عن عزته، وحقه في الأمن، والحرية، والحياة، و عن هويته، و ثقافته، لاجل اعتناق ثقافة فرنكوفونية ميسسة، تحيل الجزائري المسلم لاحقا، إلى مجرد مشاهد هش،

غير راسخ في ثقافته الأصلية، وذلك لأنه قد سلب حقه في هويته الأصلية وألبس مكرها فكر فرنكفونيا بديلا، وبهذا ستضمن فرنسا انصهار العقول الجزائرية في كل ما هو موروث غربي، حتى ينسى أنه عقل يجتهدون في طمسه و تدويره، ولهذا فإن عملية طمس الهوية الجزائرية، يمكن وصفها بأنها أول براديجم يمكن من خلاله مسح الثقافة الإسلامية في الجزائر، بتحبيد اللغة العربية، و تكريس الفرنسية واللهجات بمختلف أنواعها بدلا عنها ، والثابت أن إقصاء اللغة الأصلية لأهل بلد ما يعنى بالضرورة توريثا ممنهجاً لثقافة مُدخلّة، بديلة عن الثقافة الأصلية، وعليه فإن إقصاء العربية في حد ذاته ، إقصاءً للفكر الإسلامي في الجزائر، ثم مسح للعروبة بحلّلتها وتفكيكها (سعد الله، 1998، ج 03، صفحة 20)، ولم تتوقف فرنسا عند هذا الحد، على المستوى الاجتماعي والثقافي، بل وصلت بمشروعها إلى بث ثقافة القبيلة في البلاد، من أجل تسريع عملية نحر الوحدة الإسلامية في الجزائر بوصفها الصورة الرسمية للهوية الجزائرية، وما تحمله من قيم وتراث فكري ومخزون معنوي، بزيادة اللعب على وتر الانتماء العرقي، أو الديني، وضربه بالتفكيكية، وإحلال إيديولوجيات متشظية، بدلا عن التأصيل الروحي، كما وقد ثبت في الأثر التاريخي أنه لم يكن لفرنسا أية نية سليمة في تعليم و تثقيف الجزائريين، أكثر من مسخهم و تسطيحهم، وأن اجتهادها لم يتجاوز حدود صناعة جزائري موظف مخلص، و خدوم لمصالحها هي، أما ماعدا ذلك كمسألة تثقيف الجزائريين، والارتقاء بهم الى مصاف العلماء والمفكرين الكبار، فإن هذا لم يكن بالمشروع المسطر، إذ كلما تنقف الجزائري، شكل خطرا عليها بالضرورة ، وقد استعانت فرنسا في هذا بالمستشرقين والباباوات لمسح كل ما هو إسلامي، ثم كخطوة رئيسة: الشروع في إحلال المسيحية، والمادية بدلا عن الإسلام ، ولقد كان لهذه الفئة من العلماء والدارسين الدور الأكبر في نجاح أغلب الحملات الغربية على العالم العربي والإسلامي منذ الحروب الصليبية على الشرق، و عليه: فان الهدف الحقيقي، والمضمّر للاستعمار الفرنسي في الجزائر قبل البواعث الاقتصادية، والسياسية المعلنة كان يروم إلى توسيع الثقافة الفرنسية في بلاد شمال افريقيا، فمن غير المعقول استيطان البلدان دون استيطان العقول ، وتخوير العقائد والروحانيات، و هذا لن يتحقق إلا بعد إحلال اللغة الفرنسية عوضا عن لغة القرآن، الذي يشكل الجهاد فيه ضد الظالمين أساسا مهما في تعاليمه السمحة. (القاسم س.، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، صفحة 39)

2.2 واقع الثقافة الجزائرية بعد الاستقلال(1962-إلى يومنا هذا):

اتسم المشهد الثقافي في الجزائر بالاختلاف ، والتنوع ، ومن سماته : تنوع التركيبة الاجتماعية والثقافية، ويمكن بلورتها كما يلي :

أ-التنوع الثقافي: لقد اتسم المشهد الثقافي في الجزائر : بالاختلاف والتنوع، بين أفراد الشعب، ويروم مفهوم التنوع الثقافي، إلى حمل أفراده إلى تجسيد مبدأ التعايش ، بين أكثر من مظهر ثقافي داخل الوسط المجتمعي (غزال , عبد الوهاب;بورحلي، 2018، صفحة 121)، و لأن الجزائر ذات تركيبة اجتماعية متعددة الألوان والأعراق بفعل الفتوحات الإسلامية، والحروب الصليبية التي سبقتها، فإن من بين الأعراق التي تم بها إعمار الجزائر: العرق الأمازيغي، والعرق العربي، والعرق الترققي و الزناتي، و الشلحي وحتى اليهودي، والتركي، التي راحت تعيش في كنف الجزائر شعبا واحدا له من التعددية الثقافية ما يعبر فعلا عن هويته بأنه كذلك، ثم إنه ومنذ الفترة الاستعمارية الى غاية ما بعد الاستقلال، خاصة في الفترة الممتدة من 1988 م إلى غاية 2000م، المتزامن وقانون السلم المدني الذي دعا إلى تجسيده الرئيس الراحل عبد العزيز بوتفليقة رحمه الله، إلى غاية يومنا هذا، ورغم اشتراكهم جميعا في نفس الهدف، وهو بناء جزائر موحدة (سعيدوني، 2021، صفحة 252)، إلا أن مطلب توحيد الشعب يعتبر من أكثر المسائل طرحا ، وذلك نظرا للخصوصيات الثقافية المجتمعية .

ب-المسألة العربية و الأمازيغية: لقد اجتهدت مختلف الهياكل الاستدمارية الفرنسية في تعميق هوة الانقسام بين العرب، والبربر و الأمازيغ، والقبائل البدوية، وشبه البدوية، من أجل افتعال التصادم، و إحلال الفرقة الشعبية، لكنها عبثا تحاول، وذلك لأن البربري أو الأمازيغي لم يكن ليشعر بشيء سوى أنه مسلم، جزائري، حر، رأسه شامخ في السماء، لا يمكن مساومته في دينه، أو وطنيته البتة، رغم سياسة العصا والجزرة التي طالت جلودهم أجمع، فقد قامت فرنسا إضافة إلى ذلك بتلفيق أكذوبة سياسية تروج للانفصال والتمزق عن بقية الشعب، تحت مسمى "الشعب القبائلي" و ذلك من خلال الكتابة التاريخية والاجتماعية، والعمل على نشر مبدأ فرق تسد، وإحلال عقدة الفوقية لدى القبائلي، وعلى العرب تحديدا، و ضرب كل ما هو عربي إسلامي، و كل ما يرمز إلى اللغة العربية، (منيرة عياد حمودي إبرير، 2022، صفحة 168)، والمدارس التي تعلم الأمازيغ اللغة العربية والتاريخ، من أجل سلخهم عن قضيتهم الأصلية، وهي: تحرير الوطن، و طرد الاستعمار، لكن ولفطنة الأمازيغ ووعيتهم بأن القضية أكبر من لغة بديلة، و أكبر من دين بديل، إن هناك قضية أكبر، و أعظم ألا وهي : ضرورة الانصراف عن فكرة التمزق العرقي الذي لايراد به إلا شرا للقبائل والبلاد، و أن الأمازيغي بعد كل هذه المحاولات، لا يمكن مسخه عن هويته الأصلية، كونه مسلم حر (سعيدوني، 2021، صفحة 82)

3- البناء الفكري والثقافي في الجزائر بعد الاستقلال

1.3 ملامح الهوية الثقافية الجزائرية: بعد الاستقلال:

لا تزال الجزائر تحافظ على أسس و ملامح هويتها الثقافية، رغم محاولات الطمس التي تحفر عميقا في أسس وأخاديد التراث الاسلامي، إذ لا يزال الجزائري محافظا على عروبتيه، وعلى تعاليم دينه، بالإضافة إلى جملة العادات، والتقاليد التي شب عليها، و بقيت لتراققه في كل المناسبات، رغم قساوة الظروف في البلاد آن ذاك، ثم إن من أهم أسس مقومات الهوية لأي أمة من الأمم اللغة والدين على الرغم من جملة المقومات الفرعية للثقافة، والحضارة من عادات، وتقاليد، والتي تم توارثها عبر أجيال، تبقى اللغة والدين من أعمق الأسس لقيام أي حضارة، بل وعلامة فارقة حتى بعد اندثارها، قد تفقد أمة ما استقلالها وسيادتها، لكنها إن أبقت على الدين وعلى اللغة، فانها لا تزال بعيدة جدا عن المسخ الحضاري، وهذا ما صعب العملية على المستدمر رغم كل محاولات الطمس الهوياتي، والتبشير المسيحي، إلا أنها باءت في غالبها بالفشل، فلا يزال الجزائري يحتفل بالأعياد الدينية، والاجتماعية، و لا يزال يولي أهمية كبرى للزوايا، و لدور القرآن، و لجالس الأعيان في مسائل الصلح، وعقود الزواج، و مختلف المناسبات و العادات، و لم ينس الجزائري ليوم واحد أن له من الخصوصية الثقافية ما يجعله يعتز بها (القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، ج8، صفحة 20)، ومن أبرز ملامح الهوية الثقافية في الجزائر، هو أنها تقوم على دعائم رئيسة، وهي: دين الإسلام، واللغة العربية، و الإثنية بالانتماء الهوياتي إلى الحضارة الإسلامية العربية، والأمازيغية شمال إفريقية، ثم إن إعادة التركيز في مسألة أسس، و مقومات الهوية الجزائرية، يروم: إلى إعادة التعريف بهذه الأسس ومدى أهميتها في تصفية الثقافة من الشوائب الدخيلة عليها، ألا وهي: التعريب، والدين الاسلامي.

أ- التعريب : إن مسألة التعريب التي عكفت عليها الجزائر غداة الاستقلال، من أجل إعادة تكريسها، كانت إحدى مطالب الشعب الشرعية، تغذيها عدة دوافع، و على رأسها الرغبة الجامحة في إستئصال الفرنسية لسانا بديلا عن اللسان الأصلي في البلاد، و هو العربية، إضافة إلى بقية اللهجات العامية التي تم دعم تداولها، ومن الدوافع التي دعت إلى الاجتهاد في بعث العربية في البلاد، هو الدافع الديني، لكون الإسلام بمصدره القرآن والسنة، وردا إلينا بلغة العرب، وبما أننا شعب ندين بالإسلام قاطبة، فإن العربية أولى بها أن تكون اللغة الرسمية في البلاد، ويليهما الدافع القومي و الهدف منه بعث روح القومية العربية الإسلامية في البلاد، لإحداث تصالح بين الشعب، و موروثه الحضاري، و التاريخي الذي اجتهد المستدمر الفرنسي في تقويضه لعدة عقود، ودافع آخر موضوعي يتمثل في عبقرية اللغة العربية، ومدى شساعتها، والتي بها يُصقل العقل، ويُبنى فكرا، ولغويا، بل وتعتبر العربية من أقوى اللغات عالميا، ومن باب أولى، فإنه يجب علينا أن نسخرها من جديد لكونها في الأصل لغة عقيدتنا، و رصيد ننتفع به على مدى عقود، كما يعتبر قطاع التعليم من أولى القطاعات التي كرسها الحكومة، من أجل تعميم اللغة العربية (النبية، صفحة 247)، وبهذا فان السياسة التربوية في الجزائر تسعى للتخفيف من الفرنسية، بإعادة العربية مكانها الأصلي، والحكومة في الأصل لا تعترف بها إلا

جذرا ثقافيا يعلوا على بقية اللغات (BENDAKFAL، 2024، صفحة 120)، بيد أن بعض المواقف التي حصلت آن ذاك بين مثقفي الجزائر، أنابت عن وجود سوء تعاطي لهذه المسألة، بين الفرنكوفونيين، و المعربين، ما خلق بينهما مشكلة تعاطي اللغة، وأيها مواكبة للعصر، هل العربية أم الفرنسية؟!، و بالرغم من وجود أكبر نسبة شعبية ناطقة بالعربية، إلا أن شرخا كبيرا قد حصل بين المثقفين الناطقين بالعربية الذين يرونها أكثر من ضرورة على المستويين المحلي والعالمي، والمثقفين الناطقين بالفرنسية، بل ووصل الاحتدام بينهما إلى العنف في أواخر السبعينات (عزاز، 2018)

ب-الدين: يعتبر الدين ركيزة أساسية في مقومات الهوية الجزائرية، وبدونه لا يمكننا الحديث عن قومية إسلامية مطلقا، و المتتبع لتاريخ الثقافة الجزائرية يجد أن فرنسا قد كرس كل جهودها لمحاربة الإسلام، وأنها مذ وطأت البلاد، قد تصدى لها رجال الثورة: أمثال "الأمير عبد القادر"، و "المقراني"، و"النخبة الإصلاحية"، التي تشكلت فور مصادرة سلطات الاحتلال الأملاك، و مدارس التعليم التي تم تشييدها لضمان التربية الروحية، و الأخلاقية، فتوقفت بها الدراسة لانعدام المعلم والطالب، مما أجبر الجزائريين الذين يرغبون في تعلم لغتهم، ودينهم إلى الهجرة نحو البلدان الإسلامية المجاورة، فتشكلت لاحقا على إثر هذا، حركة الشباب الجزائري، و جمعية العلماء المسلمين و الشيوخيين، دفاعا عن الهوية الدينية في الجزائر، من خلال العربية لغة رسمية، والإسلام دين الجزائريين (Rahmouna، 2024، صفحة 46)، والبربرية جذور إثنية، كما وقد عرفنا تعددا في الفرق الإسلامية، بدء بالصوفية والاصلاحية فالسلفية، و رغم تعدد الفرق، والتباين الواضح في المنهج بين كل فرقة، وأخرى، إلا أنه لا يختلف اثنان حول قيمة الدين، في كونه أحد أبرز سمات الهوية الثقافية في الجزائر (القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، 1998، صفحة 20)، كما لم يكن مطلب الإصلاح جديدا على الجزائريين، بل إنه كان جزء من ثقافتهم متجذرا فيهم بل و كان مطلبا شعبيا أسس بنيانه منذ دأب "الأمير عبد القادر" (1808-1883م) على إشاعته بين أفراد الشعب، وقد عكف على تكريسها لاحقا، "جمال الدين الأفغاني" (1838-1897م) و "الكواكي" (1855-1905م) و "عبد الحميد بن باديس" (1889-1940م) و "العربي التبسي" (1895-1957م)، و غيرهم ممن لم نذكر، وصولا إلى "مالك بن نبي" (1905-1973م)، و "عبد الله شريط" (1920-2010م) و "مولود قاسم نايت بلقاسم" (1927-1992م) و غيرهم ممن دعوا إلى المحافظة على كل ما هو موروث إسلامي وإلى التعريب، وإلى التحرر والنهضة .

2.3 حركة الإصلاح والنهضة و مشاريع الفكر الثقافية :

أ- حركة الإصلاح : لقد كان ابن باديس امتدادا لجهود القدماء ، من المصلحين ورجال الثورة، و الدين أمثال : الأمير عبد القادر، في حثه على التمسك بالدين، ومحاربة الجهل والدجل ، والشعوذة، ومحاربة الصوفية، لما فيها من امتداد خبيث ليد المستدمر إيديولوجيا، في بعث روح التجهيل، والانحراف عن تعاليم الدين السمحة ، (رابع، 2009، صفحة 64) وبما أن الجزائر قطعة من الأمة الإسلامية، لغتها العربية، فإنه من الواجب علينا فرادى، وجماعات، أن نقف على حماية هذا الوطن، و موروثة الديني والفكري من الاندثار، لأن هذا الدين في الأصل هو: دين وحدة واتحاد، لا فرقة و تشظي، و مع إطلالة القرن العشرين، بدأت الجزائر تعيش حركة فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الإسلامية، سواء عن طريق الطلبة الذين أبتعثوا للدراسة في جامع الزيتونة، و الأزهر، و الجامعات الإسلامية الأخرى، أو عن طريق الدعوات الإصلاحية، و قد ظهرت في هذا الوقت ، صحافة وطنية جاهدت بأفلامها، ببعث نهضة فكرية، وإصلاحية، كجريدة : البصائر ، و النجاح ، و الصراط السوي ، و السنة ، و البرق ، و عاجلت بواسطتها الكثير من المسائل مثل : الدعوة الى تعليم الأهالي (سعدي، 2012، صفحة 683) كما أن لتولي شارل جوناك الولاية العامة في الجزائر سنة 1919م بالغ الأثر في إحياء الحياة الثقافية، و الفكرية في الجزائر مطلع القرن العشرين، فقد شجع على احياء فن العمارة الإسلامية، ودعم رجال الدين، من أجل إقامة الدروس في المساجد، كما اهتم بالتأليف ونشر الكتب العلمية و كتب التراث، وأشرف على فتح المدرسة الثعالبية: سنة 1904م (القاسم س.، تاريخ الجزائر الثقافي، 1992، صفحة 279)، و من هنا تتضح لنا طبيعة الوسط الثقافي، والفكري الذي تربى وترعرع فيه الشعب الجزائري آن ذاك رفقة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ما سهل عليه مهمة التواصل ،و الشعب الجزائري ، عن طريق الجمعية، و الجرائد، إذ تمكن في ظرف قصير، من توسيع نطاق مشروعه، ومن الحث على التعريب، للحفاظ على الهوية الإسلامية الجزائرية، و على الموروث الثقافي، وتنقيته من شوائب الخرافة، و ماتبشه الصوفية، من سموم فكرية مقيتة .

ب-المشاريع الفكرية وأعلامها:

مالك بن نبي:

يعتبر مالك بن نبي، أحد أهم صناع ملامح الفكر الإسلامي الحديث، لكونه اهتم بمشاريع بناء الفكر الإسلامي الحديث، أثناء دراسته مشكلات الحضارة، و العقيدة الدينية و يعتبر أول من حاول تحديد عصب المشكلة ، ويرسم الدعائم الأساسية في الإصلاح، و أول من أودع منهجا محدد في بحث المشكلة الحضارية لدى المسلمين، على أساس من علم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم التاريخ، كما كان يهتمس في وعي الأمة، فأظهر أمراضها، و وصف آليات نهضة المجتمعات، و براديجمات الإقلاع الحضاري، ووضع آثار المستعمر تحت المجهر، رفقة هذه الأسس (بوبر، 2012، صفحة 108) و يلخص مالك

بن نبي، مفهوم الحضارة في كونها إبداع، وتميز، وليست تقليدا، وتبعية، ولأن الحضارة شديدة الارتباط بحركة المجتمع تطورا، وانحدارا، فإنه لابد من فهم عميق لهذه الدينامية لكون حركة المجتمعات الحضارية، ظاهرة تخضع لغيرها من الظواهر الإنسانية لسنن وقوانين، اجتماعية، وتاريخية ثابتة، والعناصر الضرورية التي تشكل منها كل الحضارات حسب مالك بن نبي هي ثلاثة: الإنسان + التراب + الوقت، كما يدعو في كتابه شروط النهضة، إلى ضرورة إبداع بدائل فكرية، ومناهج علمية مستقلة تناسب، و البيئة الإسلامية بدل استيرادها كما هي من الغرب الأوربي (BENNABI، 2005، الصفحات 87-91)، ولأن الحضارة الإسلامية قائمة في أصلها على الوحي، والسنة، فإنه من غير المعقول، استيراد دساتير حضارية غريبة لتطبيقها على مجتمعات إسلامية، وأنه من الواجب على هذه الأمة، أن تنتج، شأنها شأن الأمم الأخرى و أن الحضارة لا تقاس بمقياس الحضارة، إلا إذا ولدت متوجاتها بنفسها، وأن الاضطراب والفوضى الحاصلين في العالم الإسلامي، إنما ترجع أسبابه في الأصل إلى القابلية للاستعمار، و الشعور بالدونية والتزوع إلى تقليد الغرب، و التأسّي بأفكاره، دون إلتفات إلى ذلك التمايز الثقافي، القائم بين الحضارتين الإسلامية، والغربية، إذ لطالما وجدنا هؤلاء المغتربين، والممثلين قد جنحوا لعناق الحضارة الغربية، فلا تراهم إلا وهم يتأسسون بالحضارة الغربية، ولا ينقلون منها إلا ما يسميه بن نبي بالأفكار الميتة، أو القتالة، التي ترمي بها إليهم عن طريق مراصدها الفكرية حتى يظلوا تابعين، لا مبدعين، منفعلين، لا فاعلين، وهذا عكس ما فعلته النخبة المثقفة في اليابان مثلا التي استطاعت في تعاملها مع الغرب، أن تفرق بين ما هو صالح للاقتباس، وما هو طالح وخاص بالقيم والأخلاق الغربية، التي تتعارض، و قيم الإنسان الياباني، وأخلاقياته (مالك، 1986، صفحة 50)

مولود قاسم نايث بلقاسم :

يعتبر مولود قاسم نايث بلقاسم، أحد أهم مثقفي، ومفكري الجزائر، ويعرف عن الرجل أنه قد ناضل من أجل استقلال البلاد، و الدفاع عن اللغة العربية، وعن الهوية الأصيلة للدولة الوطنية الفتية التي ولدت من رحم ثورة تحريرية كبرى، كان مولود قاسم ممن يرى في ضرورة التمسك بالعربية محاولة جادة في الحفاظ على الاصاله فكان يقول: "أمة لا تحافظ على الأساس والأصل، لن يكون لها فصل، تدخل الممارك بلا نصل، ولا تربطها بالحذر همزة وصل" (قاسم، 2007، ج 2، صفحة 14)، والمعروف أنه تقلد مناصب سياسية عليا في الدولة الوطنية الفتية، ومن خلالها، حاول أن يطبق على أرض الواقع، رؤاه في مسألة الهوية الجزائرية، الدين فيها هو: الإسلام، و اللغة الرسمية هي اللغة العربية، وقد قام بتكليف من الرئيس هواري بومدين آن ذاك، بدعم مشروع "التعريب" الذي يعني تمكين اللغة العربية من تبوؤ مكانتها في المجتمع، وفي جميع القطاعات، لقد كان يرى فيها رمزا للهوية الأمة الجزائرية، ووجودها،

واستمراريتها ومسألة حضارية، وفي هذا الصدد، نحت نايت بلقاسم مصطلح "إثنية"، الذي رأى أنه أكثر تعبيراً، وصحةً من مصطلح "هوية"، من "إثني" المؤكدة للذات المثبتة للشخصية، وقد استلهمها من الفيلسوف ابن سينا الذي تأثر به، شارحاً في كتابه "إثنية وأصالة"، وعليه: فإن اللغة في اعتباره شرط حياة الأمة، واستمرارها، وأن الدين، واللغة، والتاريخ، أهم العناصر المكونة للشخصية الوطنية، كما جاهد من منصبه الوزاري، في مشروع التعليم الذي أشرف عليه، وقاد من خلاله مشروعاً لتعريب التعليم، في مختلف مراحلها، و تعمق في دراسة اللغة العربية، والتاريخ وقيم الإنسية الجزائرية، وعمل على تعميم استعمال الفصحى عبر أثير الإذاعات، وشاشات التلفزيون، وفي مختلف المجالات (بلقاسم، 1991، صفحة 24) و لم تكن معاركه في الدفاع عن اللغة العربية هيئة البتة، لكنّه خاضها بشجاعة، ونجح في بعضها، وفشل في أخرى، لكنه يبقى دائماً الرجل الذي ناضل من أجل الإنسية والتعريب (نعمان، 2016، صفحة 184)

مصطفى الأشرف:

يعتبر مصطفى الأشرف، نموذج المثقف الجزائري الفرنكوفوني الذي استطاع أن يكون أحد أفراد النخبة، لكونه ارتبط بالجهاز الإداري، ودوايب السلطة، التي شكل فيها، مرجعية فكرية يُعتمد عليها في عدة جوانب، وقد أعانه في ذلك انضمامه لحزب الشعب، و لم يكن الأشرف رجلاً مثقفاً فحسب، بل كان رجلاً وطنياً و كتب عن الثورة الجزائرية والثقافة وفق منظوره (الكريم، 2013، صفحة 313)، كما وازن بشكل رصين علاقاته و النخبة الفرنكوفونية، في محاولة اندماج فعلي و افرازات العصر دون التعصب للعربية، فما يضاف الى ثقافتنا من و افد عصري بغير اللسان العربي، لا ضرر فيه إذا كان خادماً لنا، وهذا ما حشد الأعداء ضده باعتباره الناطق الرسمي للأنتلجنسيا الفرنكوفونية، ومؤسس قواعدها الفكرية، والذي لم يفهمه هؤلاء هو أن الأشرف كان ينتصر للوطن وللهوية، للثقافة أيضاً، إلا أنه كان موضوعياً في الانفتاح على الثقافات الأجنبية بلغة الآخر، مسهباً في كتبه عن الوضع الثقافي في الجزائر باللغة الفرنسية، كان مثيراً للجدل أيضاً، ففي أطروحاته كان ينتقد كل ماله صلة بالعربية والعروبة، واعتبر المعربين جهلة، سذج، عاديّين ومتخلفين اجتماعياً، وأن عملية التعريب لديهم مرتجلة، وقائمة على العاطفة، وعاجزة عن تحقيق الأهداف، ووصف أعمالهم بالمعتلة و التي ترمي بالتعريب ملقى على رأسه، محكوماً عليه بالفشل (سعيدوني، 2021، صفحة 310)، وسعى الأشرف إلى توظيف معارفه ذات الخلفية الإستشراقية، ضد التعريب الذي رأي فيه، إعاقة صريحة للالتحاق بركب الحضارة، و قد تجلّى موقفه هذا، حينما كان على رأس وزارة التربية سنة 1977م، فشرع في عزل إطارات التعريب، التي شاركت في الإصلاح التربوي، الذي أقر المدرسة الأساسية المغربية، بموجب الأمرية الرئاسية، للرئيس الراحل هواري بومدين 16 أفريل 1976م، وهم 72 إطاراً مغرباً، وقد حمل جمعية العلماء

المسلمين، وأنصارها المسؤولية في تردي المنظومة التربوية، كما أنه لم يقترب من المدرسة الجزائرية، ليعرف مستواها التعليمي، وعلى إثرها، تم إرسال الكثير من الطلبة الجزائريين، إلى الجامعات بالخارج، ليتفوقوا لاحقاً، وفي جميع التخصصات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فاعلية المدرسة الجزائرية، في تلك الفترة، التي نعتها الأشرف : بعديمة الفاعلية، وهذا ما أثار الرأي العام ضده، فكان لـمحمد الصالح يحيواوي المناصر للتعريب، موقف حازم ضد موقف الأشرف، المعادي للتعريب في ماي 1978م، كما واجه انتقادات لاذعة من النخبة العربية، أمثال "عبد الله شريط"، "عبد الله الركبي"، "أبو القاسم سعد الله" (سعيدوني، 2021، صفحة 311).

لا ننكر أنه قد كان للأشرف مشروع، وهو إعادة صياغة المجتمع الجزائري من منظور يساري، وكان بهذا يكابد واقعا مريرا، تأسس على مبادئ التعريب والقومية، والتي لا تتماشى وافرازات العصر العلمية والثقافية، ما يلخص بصدق موضوعيته في التفاعل الثقافي دون المساس بالهوية، فاستجلاب ثقافات منتجة، لا يقتضي بالضرورة تحديد نوع لسانها، ولا حتى تعريبها، ومن هذا المنظور، فإننا نجده قد عالج في الكثير من مقالاته، التي جمعت في كتاب : الجزائر الأمة والمجتمع، سؤال القومية في الجزائر معتبرا أن الوعي الثقافي الجماعي القائم على الدين، والتقاليد، والذي تم به تحرير الجزائر، هو وعي انتهت صلاحيته، وقد حان الوقت لاعتناق الاشتراكية، والحداثة، وأن العامل الديني معيق للاشتراكية العالمية ما يطرح برأيه، إشكالية الاستقلال من الموروث التقليدي، والايديولوجي قصد اللحاق بركب الحضارة، وبهذا فالأشرف لا يعترف بالتعريب، ويرفض التقاليد، ويعادي القومية، ويناصر الفرنسية، والحداثة الغربية، كما كان يسعى أيضا، أن يوجِد للنخبة الفرنكوفونية شرعية تاريخية، تمكنها من البناء الفكري والحضاري، داخل الجزائر، وإن اللغة الفرنسية شئنا أم أبينا هي إحدى مقومات الثقافة في الجزائر، والتي يجب استثمارها، وأن العربية ليست سوى أداة تعبيرية شأها شأن بقية اللهجات الأخرى (عمر، 2000، صفحة 21)، وبهذا يسقط الأشرف اللغة العربية من برجها العالي، ويضعها واللهجات في مقام واحد، في اعتراف صريح، سببه الاعتقاد الذاتي بأن الفرنسية لغة تتماشى وروح العصر، كما اعتبر فكرة القومية مجرد استلاب فكري زائف يعيش من خلالها الجزائري حالة وهمية بأنه ضمن الجماعة الواحدة، بينما في حقيقة الأمر عليه أن يعيش واقعه ويعمل على تحسينه .

4_خاتمة :

وختاما لما سبق، يمكننا استنتاج مما ورد سلفا: أن إشكالية فلسفة الثقافة في الجزائر، رغم تعدد خصوصياتها، لأكر رهان نسعى جمعاً من خلاله، إلى المحافظة على الوحدة الوطنية و الهوياتية، و

اعتبار التعدد في الخصوصية الثقافية، و التوجه الفكري ، ثروة مضافة تحتسب لصالح الثقافة في الجزائر رغم التقاطعات الجلية، في الكثير من المسائل، بين النخب الوطنية ، و توجهاتهم الفكرية، ثم إن من جملة النتائج التي تم التوصل إليها :

- الهوية الإسلامية : كيفية ترشيد التعامل مع الإسلام ، باعتباره جزءاً أساسياً من الهوية الثقافية الجزائرية ، دون أن يتحول إلى أداة للاستقطاب ، أو التهميش.
- التراث والحداثة : العناية بالتراث في ظل العولمة ، والتحول الرقمي، ومواكبة روح العصر.
- قيمة الهوية العربية والأمازيغية : يجب إيلاء أهمية كبرى لكل من اللغة العربية و الأمازيغية ، و اعتبارهما مقومين أساسيين من مقومات الهوية في الجزائر ، و خاصة في ظل الاعتراف الدستوري بالأمازيغية كلغة رسمية.
- التعددية الثقافية : باعتبار أن الجزائر بلد متعدد الثقافات ، والألسن واللهجات (عربية، أمازيغية، فرنسية،) و يتجلى الرهان في كيفية الحفاظ على هذا التنوع وتعزيزه دون إثارة التزاع الهوياتي .
- التحديث الثقافي : نحن نقف وجهاً لوجه ، و رهان مواكبة الحداثة دون فقدان الخصوصية الثقافية، خاصة في ظل التأثيرات الغربية والتكنولوجية.
- التصدي للتأثيرات الثقافية الخارجية: بكيفية التعامل والتأثيرات الثقافية الخارجية (خاصة الغربية) دون أن نفقد هويتنا.
- الثقافة كأداة للتنمية : كيفية تكريس الثقافة للمساهمة في التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية في الجزائر.
- الاستقلالية الثقافية: كيف يمكن للثقافة أن تحافظ ، على استقلاليتها في ظل التدخلات السياسية والأيدولوجية ؟.
- الصراع الثقافي بين الأجيال: كيفية تعزيز الحوار الثقافي بين الأجيال المختلفة في الجزائر، خاصة في ظل تغير القيم والتطلعات؟
- الحوار بين الأجيال: كيفية نقل صورة موضوعية عن الثقافة الجزائرية، و صيانتها من التحريف، لتصل إلى الأجيال على حقيقتها خالية من الكذب.
- التسامح الديني: هناك رهان يتعلق بكيفية تعزيز التسامح الديني، والثقافي في مجتمع متعدد المذاهب.

- الثقافة الرقمية: كيفية الاستفادة من التكنولوجيا الرقمية في نشر ، وتعزيز الثقافة الجزائرية محلياً وعالمياً .
- الإعلام الجديد: هناك رهان يتعلق بكيفية تعامل الثقافة الجزائرية مع التحديات ، والفرص التي يوفرها الإعلام البديل.

5. قائمة المراجع:

- Boucheta Rahmouna. (2024, 01 20). Education Before And During The French Occupation In Algeria. *EL-Ryssala for studies And The Research in Humanities*. 55-43, (04)08 ,
- MALEK BENNABI. (2005). *Les Condition DE la Renaissance probleme d'une civilisation*. Oran, Algeria: ANEP.
- Tayeb BENDAKFAL. (2024, 09 30). Political Linguistics/learning of french in algeria what Sociodidactic Impact. *EL BAHITH*. 128-115, (02)16 ,

- أحمد بن نعمان. (2016). مولود قاسم نايت بلقاسم حياة وآثار وشهادات ومواقف. الجزائر: دار النعمان.
- بن نبي مالك. (1986). شروط النهضة. دمشق، سوريا: دار الفكر .
- جيلالي بوبكر. (2012). بين الحضارة وفكرنا العربي المعاصر. تيزي وزو: دار الأم
- حسنية عزاز. (2018). اللغة العربية في الجزائر بين التعريب والفرنسية. (8ع، المحرر) مجلة عود النذ.
- تركي رابح. (2009). الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الاسلامية العربية في الجزائر المعاصرة . الجزائر : موفم للنشر
- سعد الله ابو القاسم. (1992). تاريخ الجزائر الثقافي. (المجلد 8)، بيروت، لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- سعد الله ابو القاسم. (1998). تاريخ الجزائر الثقافي (المجلد 3). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- عثمان سعدي. (2012). الجزائر في التاريخ من العصور القديمة حتى 1954. الجزائر: شركة دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع .
- عبد الكريم بوصفصاف. (2013). تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر . الجزائر : دار الهدى .
- غزال , عبد الوهاب: بورحلي. (2018). تكريس التعددية الإعلامية عبر تحقيق التنوع الثقافي في وسائل الإعلام. مجلة الباحث الإعلامي.
- مهيل عمر. (2000, 05 24). مصطفى الأشرف و رحلة البحث عن الذات. جريدة اليوم.
- مولود قاسم نايت بلقاسم. (1991). أصالية أم إنفضالية. (الطبعة الأولى، المحرر) الجزائر، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب
- ناصر الدين سعيدي. (2021). المسألة الثقافية في الجزائر النخب الهوية اللغة دراسة تاريخية نقدية (الإصدار ط1). قطر: المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات.
- يوسف ولد النببة. (2016. 06. 30). استراتيجية البشير الابراهيمي لتعريب التعليم ، مجاة قراءات للبحوث والدراسات الأدبية والنقدية واللغوية ، العدد 06 ، ص 245-262